رئيس الوزراء بين الوفد وخصومه

منذ وليت وزارة الوفد الحكم فى أوائل سنة 1950 إلي أن نحيت عنه وخصوم الوفد دائبون على الطعن فيها فليس فى أعمالها عمل واحد يستحق شكرًا ولا ثناء. فهى فى نظرهم وزارة استثناءات وفساد وصفقات واستغلال قالوا هذا وكتبوه ألف مرة ومرة حتى ملَّته الأنظار ومجَّته الأسماع.

ولما نحيت تلك الوزارة عن الحكم اشتغلوا بها عن قضية البلاد وتركوا كل ما يعنى به الوطن الآن من العمل على تحقيق أهدافه القومية جانبًا. بل تركوه نهائيًا واستمروا فيما كانوا سادرين فيه منذ عامين، فالحاضر من قضية الوطن لا يعنيهم والمستقبل لا يشغل بالهم. وهذا هو قسطهم فى الجهاد والكفاح من أجل تحرير الوادى.

جرفهم سيل إجماع الأمة على إلغاء المعاهدة واتفاقيتى الحكم الثنائى جرفًا فانساقوا راضين أو كارهين لأنهم لم يستطيعوا أن يتخلفوا عن الركب خوفًا من الفضيحة. ولذلك جعلوا يتحدثون عن الخطط الموضوعة وغير الموضوعة. وتجاهلوا الأمور تجاهل العارفين. وهم يرددون فى كل وقت تساؤلهم عن الخطة الموضوعة لتنفيذ ما انعقد عليه إجماع الأمة. وهم يفهمون ويدركون أنَّ الخطة لا تعدو كفاحًا من أمة لا سلاح لها أمام دولة غاشمة مستعمرة ذات قوت وسلاح وهم يفهمون ويدركون أنَّ التاريخ سجل فى صفحاته غير مرة لأمم مثلنا مع ضعفها المادى انتصارات حاسمة على الأقوياء الغاصبين.

وعلى الرغم من أنَّ حضرة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا كان صريحًا غاية الصراحة واضحًا كل الوضوح فى بيانه الذى ألقاه بمجلسى البرلمان

يوم 8 أكتوبر الماضى عندما أشار إلى موقف البلاد وظروفها. وطالبها بالصبر والاستعداد لبذل التضحيات الجسيمة، على الرغم من هذا كله يقولون «أين الخطة الموضوعة»!!

وإننى أضع تحت أنظار القراء ما ختم به رئيس الوزراء السابق بيانه التاريخى: «لقد انقضى وقت الكلام وجاء وقت العمل. العمل الدائب المنتج الذى لا يعرف ضجيجًا أو صخبًا. بل يقوم على التدبير والتنظيم وتوحيد الصفوف لجميع الاحتمالات. وتذليل كل العقبات وإقامة الدليل على أنَّ شعب مصر والسودان ليس هو الشعب الذى يكره على ما لا يرضاه أو يسكت عن حقه فى الحياة.

أما الخطوات العملية التالية فستقفون على كل خطوة منها فى حينها القريب.

وإننى لعلى يقين من أنَّ هذه الأمة الخالدة ستعرف كيف ترتفع إلى مستوى الموقف الخطير الذى تواجهه متذرعة له بالصبر والإيمان والكفاح وبذل أكرم التضحيات فى سبيل مطلبها الاسمى».

فأية صراحة أقوى من هذه الصراحة وأى تبصير أعمق من هذا التبصير؟

أليس عجبًا أنَّ خصوم الوفد لم يجدوا عملًا واحدًا يستحق التقدير. عملًا واحدًا عملته حكومة الوفد فى عاميها الأخيرين فى الحكم. حتى إلغاء المعاهدة والاتفاقيتين زعموا أنَّ الدافع إليه لم يكن وجه الله والوطن. وإنما كان لستر عيوب الحكم وأخطائه. هكذا يتحدثون إلى الناس فى جرائدهم ومجلاتهم.

ولقد بلغ الأمر بكاتب ماجن من كتابهم أن يطالب رفعة رئيس الوزراء ببيان عن الصفقات التى عقدت منذ إلغاء المعاهدة!

وهى نغمة رددتها الجرائد الإنجليزية من قبل ولم نستغربها لأن الإنجليز بهذا التهريج فى جرائدهم يريدون أن يخفوا عن أنظار العالم أنَّ حركة مصر وطنية وأنَّ بها أمة ناهضة تطالب بحقها فى الحياة.

فقديمًا قالوا عن ثورتنا سنة 1919 إنها قامت واشتعلت بسبب ما استولت عليه السلطات الإنجليزية أثناء الحرب العالمية الأولى من مؤن وماشية. قالوا ذلك فى جرائدهم وقتئذ، وقال مثله اللورد ملنر فى تقريره الرسمي الذى قدَّمه لحكومته عقب زيارته لمصر عندما قاطعته مصر مقاطعة أذهلته.

فليكتب خصوم الوفد ليلًا ونهارًا، وليتحدثوا خفية وليخطبوا جهارًا فلن يتحول الشعب عن الوفد ولو تكتلت الدنيا عليه لأنَّ للوفد رسالة لن يتردد عن أدائها داخل الحكم وخارج الحكم على السواء. فهو قد كان فى الحكم يكافح الإنجليز غير عابئ بما يكون. وهو خارج الحكم يراقب الأمور عن كثب ويبصر الشعب كلما دعا الأمر إلى تبصير غير عابئ أيضًا بما يكون.

والوفديون من أعماق قلوبهم يتمنون لحضرة صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا كل التوفيق. يتمنون ذلك صادقين مخلصين ورفعته موقن من هذا مهما حاول خصوم الوفد أن يدسوا بينه وبين الوفد.

ورفعته أيضًا حكيم وهم لهذا لن ينجحوا فى أن يصرفوه عن أن المسألة المصرية هى كل شىء الآن وأنَّ الأهداف القومية هى التي يجب أن يتوجه إليه نشاطه وجهوده أولًا وبالذات.

وليثق خصوم الوفد أنهم بسلوكهم لن يستطيعوا أن يؤثروا فى مكانة الوفد عند الأمة.. إنما هم بسلوكهم الحالى يشوشون ذهن رئيس الوزراء ويشغلونه بما لا محل لأن يشغلوه به، بل إننى أحس فى نفسى أنهم يضايقونه ويعكرون عليه صفاء ذهنه، ويضعفونه أمام الإنجليز، فبدلًا من أن يتحدث عن أمة متحدة الصفوف مجتمعة الكلمة فإنَّ من يتحدثون إليه من الإنجليز قد يستطيعون أن يقولوا له إنَّ فى مصر من هزأ بالأمس ولا يزال يهزأ بكفاح الوزارة السابقة، وأنَّ فيها من يتحدث عن العناية بالأحوال القومية. فهم يسيئون إلى رئيس الوزراء، ما فى ذلك شك، وليس يهمهم تقوية مركزه أو إحراجه فى شىء مادام أنهم يشفون فى كل صباح ومساء غلتهم من الوفد. عدوهم اللدود.

ألست تراهم يتندرون بقول رئيس الوزراء «سلفى العظيم» وبقوله إنَّ وزارتى «استمرار للوزارة القديمة» فيما يتعلق بالأهداف القومية وفيما يتصل بما انعقد عليه إجماع البلاد.

إنهم يعملون جاهدين على إحداث خلاف بين الوفد ورئيس الوزراء ويحرضونه على حل مجلس النواب أو البرلمان كله. إنهم يتحدثون إليه ويسألونه عن تعديل قانون الانتخاب، وأنهم يبذلون كل جهد غير مشكور حتى ينحرفوا برئيس الوزراء إلى طريقهم.. أما الوفديون فحريصون على أن تتاح الفرصة لرئيس الوزراء لعله يوفق إلي تحقيق أهداف بلاده، ويستوى عندهم أن يتم الأمر على يد على ماهر أو مصطفى النحاس.

كما أنَّ الوفديين لن يقبلوا أقبل مما انعقد عليه إجماع البلاد ولن يرهبهم مصير البرلمان ولا قانون الانتخاب ولا الدستور نفسه، ولقد انعقد إجماع البلاد على أهداف لا لبس فيها ولا غموض «الجلاء الناجز ووحدة الوادى تحت تاج جلالة الفاروق العظيم».

إنَّ الموقف الذى وقفه الوفد المصرى والهيئة الوفدية لهو أشرف موقف عرف عن هيئة من الهيئات السياسية فى العالم أجمع.. موقف ارتفع بالأهداف القومية إلى السماء.. موقف أناس تجردوا من الأنانية وسموا بقضية وطنهم فوق كل اعتبار، ويكفى الوفد شرفًا وفخرًا أنَّ الشعب قابل هذا التصرف الحكيم بالارتياح التام.

كذلك انكشف خصوم الوفد، بل إنهم قد افتضحوا وبدت شهوتهم لتولى الحكم سافرة، وظهر للناس جميعًا أنَّ الأهداف القومية لا تعنيهم فى كثير ولا قليل.

بقى أن نتوجه إلي حضرة صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا بالرجاء أن يعمل جاهدًا وفى سرعة ليحقق للوطن أهدافه القومية فلا يدع الإنجليز يماطلونه أو يداورون معه، وليصارحهم بأنَّ الهدوء الحالى هدوء انتظار وترقب من جانب هذه الأمة الأبية وأنَّ أحدًا لا يستطيع ردَّها عن أهدافها بأية وسيلة من الوسائل وأنها

مصممة ومستعدة للبذل.

ورجاء آخر نتوجه به إلى رفعة رئيس الوزراء هو أن يعد أمته للحالين، حال النجاح الذى نتمناه له مخلصين، وحالة عدم النجاح فتعود الأمة إلى الكفاح والنضال ويكون رفعته يومئذ فى الصف الأول من المجاهدين مع مصطفى النحاس وزملائه.

والله ولى التوفيق.